

واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة، وموعظة العبرة، وسنة الأولين، فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين - والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم، ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً - والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة - والكفر على أربع دعائم: على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق - فمن تعمق لم ينب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة، وسكر سكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طرقة، وأعضل عليه أمره، وضاق عليه مخرجه - والشك على أربع شعب: على التماري والهول والتردد والاستسلام، فمن جعل المرء ديناً لم يصبح ليله، ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما^(١).

﴿... قَالَ الْكٰفِرُونَ اِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أساحر هو ببلغ قرآنه وفصيح تبيانه؟ والسحر ليس ليبطل العقل أو يعزله، فإنه جنّة بعواملها، ولئن كان تأثير بيان في عقلية الإنسان دليلاً على أنه سحر، إذا فالبيان الخاوي عن تأثير هو الحق الواقع موقع القبول، فلنرفض كل بيان تقبله العقول، ونفرض ما لا تقبله.

(١) (الحكمة ٣٠).

والمروى عن النبي ﷺ : «إن من البيان لسحراً» ناح منحى زخرفة البيان الخاوي عن الحق، حيث يؤثر فيمن لم يكمل عقله بتزويقه وزخارفه، وحسن معارضه ومطالعه، حتى يستنزل الإنسان من حال الغضب والمخاشنة إلى حال الرضا والملاينة، وينزع حمات السخايم، ويفسخ عقود العزائم، ويكتح الجامح حتى يرجع، ويسف بالمحلق حتى ينفع، ويعود بالخصم الضالع موافقاً، وبالعدو الأبعد مقارباً.

وأما الكلام الخاوي عن زخرفات الكذب، وزبرجات تعني قلب الحق عن مرامه، دونما معنى تقبله العقول، فليس سحراً، ثم إذا كان خارجاً في لفظه ومعناه عما يعرف ممن سوى الله كان آية ربانية.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ :

إنه ليست الربوبية بالتي تنفصل وتنعزل عن الألوهية، وحق لها في حكمة الخلق أن لن تنفصل، حيث الربوبية الناتجة عن الألوهية هي كما الألوهية كاملة غير ماثلة، وسائر الربوبيات المدعاة لا أصل لها ولا فرع صالحاً.

وهكذا ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ - ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ - ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ - ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ - ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ - ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟.

فالله تعالى شأنه يملك هذه الخماسية من الربوبية خلقاً وتديراً وتيسيراً فمعبودية ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾؟.

ذلك، وقضية الألوهية لم تكن محل إنكار للمشركين إذ كانوا معترفين مصرحين بوحدة الألوهية، ولكنه لم تكن تتبعه مقتضياته، فلقد كان من

قضايا ذلك الاعتراف أن يعترفوا لزماً بربوبيته الوحيدة في حياتهم، ثم الربوبية الإلهية تتمثل في الدينونة له وحده، إذا فلا تقدم الشعائر والشعورات التعبدية إلا له وحده، ف ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ لا سواه.

هذا ولكن هؤلاء المجاهيل وأضرابهم يحصرون الألوهية في الخلفية ثم يحسرونها عن الربوبية والمعبودية.

والعرش هنا هو عرش تدبير الخلق بعد خلقه: «ثم استوى على العرش لتدبير الأمور»^(١) قد ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٢) قبل أن يخلق منه الأرض والسماء، ثم له عرش يوم القيامة لتدبير الحساب فالثواب والعقاب: ﴿وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَمْنُونَةٌ﴾^(٣) فمثلث العرش هو لمثلث النشآت فلا عرش له - إذاً - قبل خلقه الخلق إذ لا مخلوق حتى يدبر.

تدبير حكيم لا حول عنه وكما في حديث قدسي: «إني أدبر عبادي لعلمي بقلوبهم فإني عليم خبير»^(٤).

ذلك، وقد ذكر «العرش» بـ «عرشه» وحدة وعشرين مرة في الذكر الحكيم في تسعة عشر سورة، وهي كلها تعني عرش الربوبية، دون مجرد الألوهية، فقد كان ولا عرش إذ لا خلق يستولي على أمره.

(١) نور الثقلين ٢: ٢٩٢ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله جلّ ذكره وتقدست أسماؤه خلق الأرض قبل السماء ثم...

(٢) سورة هود، الآية: ٧.

(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٤) المصدر في كتاب التوحيد بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى حديث طويل وفيه: وإن من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأكفه عنه لثلاث يدخله العجب فيفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لأفسده، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسخة ولو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو صححت جسمه لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا بالصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك إني أدبر...

وهذه بين العرش الأول قبل خلق السماوات والأرض حيث ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١) والعرش الأخير ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(٢) - ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(٣) ﴿وَيَجْمَلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً﴾^(٤).

وبينهما سائر عروش الربوبية من عرش الرحمن وهو السيطرة الرحمانية على الخلق أجمع: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٥) ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلَ بِهِ حَسْبًا﴾^(٦) ذلك المعبر عنه بعرش التدبير كما هنا في ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ﴾ وعرش العلم: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ...﴾^(٧).

فعرش الربوبية في ذلك المثلث مرتكن على علمه المحيط وقدرته الطليقة وقيوميته المطلقة دون أي ند ولا شريك، فكما لا شريك له في ألوهيته وخالقيته، كذلك في سائر ربوبيته لما خلق.

فلا توكل - إذا - إلا عليه: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٨) لأنه الملك الحق ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَبِيرِ﴾^(٩) ثم ولا شفيع من دونه: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾^(١٠).

فلا يعني العرش لربنا سبحانه وتعالى إلا حيطة علمه وقيوميته في كافة شؤون الربوبية.

- | | |
|-----------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة هود، الآية: ٧. | (٦) سورة الفرقان، الآية: ٥٩. |
| (٢) سورة الزمر، الآية: ٧٥. | (٧) سورة الحديد، الآية: ٤. |
| (٣) سورة غافر، الآية: ٧. | (٨) سورة التوبة، الآية: ١٢٩. |
| (٤) سورة الحاقة، الآية: ١٧. | (٩) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦. |
| (٥) سورة طه، الآية: ٥. | (١٠) سورة السجدة، الآية: ٤. |

فكما أنه إله لا إله إلا هو، وخالق: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾^(١) كذلك هو رب لما خلق لا رب إلا هو، ولا مدخل لغيره تعالى في خلقه، وإنما هو القيوم الديموم في ألوهيته وخالقيته وسائر ربوبيته، لا شفيع له في خلقه خلقاً وتديراً، ثم ولا جزاء إلا باذنه ف ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٢) ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ في تدبير الأمر ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فالشفاعة الوساطة في أصل الخلق لا أصل له إذ هو الخالق لا سواه، وكذلك الشفاعة في التشريع، اللهم إلا شفاعة شرعية لبلاغ الرسالة، ثم شفاعة في ظاهرة آيات الرسالة، ومن ثم شفاعة في غفران الذنوب وما أشبه، فالشفاعة المسموحة هي على أية حال خارجة عن شؤون الربوبية الخاصة به تعالى وتقدس، كما وهي أيضاً خاصة باذنه، فلا يستقل أحد في هذه الشفاعات المسموحة حيث تنحصر «بإذنه».

وذلك الإذن مشروط بشروط عدة مسرودة في الكتاب والسنة، ومن السنة ولاية حملة السنة المعصومين عليهم السلام، بعد ولاية الله وولاية الرسول وصالحه الأعمال، وكما يروى عنه عليه السلام: «شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي»^(٣) و«من أبغض أحداً من أهل بيتي فقد حرم شفاعتي»^(٤) «من آذاني في عترتي لم تنله شفاعتي»^(٥) «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي»^(٦) «شيعتك على منابر من نور مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم»^(٧) و«الشفعاء خمسة..»

(١) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) ملحقات إحقاق الحق ٩: ٤٢٣ و ١٨: ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٤) المصدر ٦: ٤١٣ و ٩: ٤٨ و ١٨: ٤٦٠، ٤٦٦.

(٥) المصدر ٩: ٤٨٦.

(٦) المصدر ٩: ٣٨٠ - ٣٨١ و ١٨: ٤٦٤، ٤٦٨، ٥٤٣.

(٧) المصدر ١٥: ٤٠٦، ٢٢١ و ٤: ٤٨٤ - ٤٨٥.

وأهل بيت نبيكم»^(١) و«من أراد التوسل وأن يكون له عندي يد أشفع بها فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»^(٢).

وهكذا ينقسم تدبير الأمر ككل إلى أقسام خاص بالله ككل شؤون الربوبية الإلهية، فلا تعدوه إلى سواه بإذن أو دون إذن، أم خاص به يعدوه إلى من يأذن له، أم هو لمن سوى الله دون خاصة الاذن حيث جعل الخيرة لخلقه فيه.

وهنا ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يشمل الأولين، اختصاصاً بشأن الربوبية مهما كان الثاني بإذن، ثم والثالث بما أذن تكوينياً بصورة عامة كسائر شؤون الخلق التكليفية وسواها، فلا تدبير لأي أمر من الخلق استقلالاً عن إذن الله، مهما اختلف إذن خاص في شفاعاة عن إذن عام.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ البعيد المحتد ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ لا سواه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذه الخصائص الربانية التي تختصه، فالعبودية له وحدة هي قضية ألوهيته وربوبيته الوحيدة غير الوهيدة.

﴿ذَلِكَكُمْ اللَّهُ﴾ الذي كان إذ لا كان، لا عرش ولا معروش حيث يعني «عرشه» سلطته الفعلية بكل مراحل القيومية.

ف «الله» قبل ظهور فعليات صفاته الخلقية، هو الله دون عرش ولا سواه من كائن.

ثم الله بعدما خلق الله - وقبل خلق السماوات والأرض - كان عرشه على الماء.

ومن ثم بعدما خلقهما ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم بعد خراب العالم كله له

(١) المصدر ٩ : ٤٢٥ .

(٢) المصدر ٩ : ٤٢٤ و ١٨ : ٣٠٦ ، ٤٧٣ ، ٤٥٧ ، ٥٥٥ .

عرش تديير الحساب والجزاء حيث يحمله يومئذ ثمانية، المحمّلين كموازين الأعمال موازين الحساب.

«ذالكم» فقد جرّد عرشه سبحانه عن عروش المخلوقين روحية أو زمينة أو مادية، كما وهو مجرد في ذاته وصفاته وأفعاله عن ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم.

«ذالكم الله ربكم أفلا تذكرون» ما رقم في كتاب الفطرة التي فطركم الله عليها، خاسرين أنفسكم الحاقة، خارجين عنها إلى أهواءكم المضلة المطلّة عليكم!.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ (١)

﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ولا رسول الله ولا أي شركاء أو شفعاء ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ أنتم العالمين ﴿جَمِيعًا﴾ مرجع بجميعه دون إفلات، و«كم» جميعاً دون إفلات، أعني ﴿وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ ثابتاً ولا حول عنه ولا بداء فيه، أو أنه من قيام المفعول المطلق مقام فعله، ﴿إِنَّهُ﴾ بتحقيق حقيق وتأكيد بليغ أكيد «بيدء الخلق» مصدرأً وصادرا ﴿ثُمَّ﴾ بعدما يفنيه ﴿يُعِيدُهُ﴾ ولماذا ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ وهو فوق العدل، ولا يظلمون نقيراً ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: حار حارق، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ألم من حميم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ عدلاً جزاءً وفاقاً، فهناك درجات حسب الدرجات ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (١) وهنا درجات حسب الدرجات دون مزيد إن لم ينقص.

هنا «بيدء» مضارعة تدل على استمرارية الخلق، مما يضيق نطاق الخلق

(١) سورة ق، الآية: ٣٥.

بالمكلفين أم ويشمل سائر الخلق لأنه مما يعيشونه إبتلاء، فالبدء على أية حال هو بدء فيه حالة التكليف لمكان الجزاء لفريقي الإيمان والكفر، فلا تعني الإعادة هنا إلا إعادة الحياة للأحياء بعدما أماتهم، كما لا تعني إعادة المعدوم حتى تمتنع، إنما هي إعادة الأجساد إلى حالة تقبل الأرواح ورجعها إلى أجسادها ف ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(١) ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) - والإعادة أهون عليه فيما نقيس إذ لا أهون له، فكل خلقه هين: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٣) - ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{(٤) (٥)}.

ذلك ولو لم تكن إعادة بعد الموت لكان خلاف القسط تسوية بين فريقي الإيمان والكفر، بل وخطوة زائدة للكافرين وحرماناً للمؤمنين وهذا ظلم لا يحصل إلا من ضعيف، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، ضعيفاً في قدرته أو علمه أو حكمته أو رحمته، فلولا الإعادة للجزاء بعد الخلق لكان البدء ظلماً عارياً عن الحكمة العادلة.

فقد بدء الخلق ﴿لِيَجْزِيَ...﴾ وهو يعيده «ليجزى» خلقاً قاصداً بإعادة قاصدة قاسطة ولا يظلمون نقيراً.

وهنا ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ قد تعني كل الخلق مكلفين وسواهم من الخلائق، فقد تلمح أنه يعيد السماوات والأرض كما بدأهما، أم ويعيد

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٥) لتطلع واسعاً على المعاد في المعاد راجع ج (٢٢: ١٠٨ - ١١٥) من الفرقان وآيات أشباهها. وفي «عقائدنا» ٦٩ - ٢٢٧٨.

خلقاً آخرين مكلفين وسواهم بعد القيامة الكبرى، ولكن احتمال خلق آخرين بعيد عن ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ إذ ليس خلق آخرين إعادة للأولين، وأما احتمال رجوع السماوات والأرض فوارد وكما تدل عليه ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾^(١) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَنَحْنُ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾^(٢).

ذلك، وكما أنه واحد في بدء الخلق لا شريك له أصيلاً ولا بديلاً، كذلك هو المرجع والمعيد لا شريك له أصيلاً ولا بديلاً، حيث البدء والإعادة والإرجاع هي أمور خاصة بساحة الربوبية فلا تقبل نيابةً وإذناً، وكما المستفاد من ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ حصره مرجعاً ومآباً فحساباً وثواباً وعقاباً.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣):

هذه وما يتلوها من اختلاف الليل والنهار هي من شؤون الربوبية البارزة، و﴿الشَّمْسُ﴾ هنا هي هذه التي تشرق علينا نحن سكنة الأرض حيث الخطابات تخصنا، أم تعني كل شمس وقمر للعالمين أياً كانوا في الأنجم الحية العاقلة المكلفة بأهلها.

هنا ﴿الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ مرة وسراجاً أخرى تذكر بين (٣٢) مرة، ثم ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ بين (٢٦) مرة، وفيها ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾^(٤) و﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾^(٤) فالشمس ضياءً مرة وسراج

(١) سورة الإنسان، الآية: ١٣.

(٢) سورة هود، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة نوح، الآية: ١٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

مرتين، والقمر نور ومنير في ثلاث، فما هو الفرق بين الضياء والسراج وبين النور والمنير؟.

الضياء هو شدة النور كما السراج، مهما اختلفت السرج في ضياءها، ولكن النور هو مطلقها وهو في القمر وجاه الشمس نور ضعيف ولا سيما إذا كان من إضاءة الشمس حيث يتلألاً على ضوءها، والنور على حد تعبير رسول النور ﷺ: «تكلم ربنا بكلمتين فصارت إحداهما شمساً والأخرى قمراً وكانا من النور جميعاً ويعودان إلى الجنة يوم القيامة»^(١) إذا فالنور هي أعم من الضياء للشمس والنور للقمر، والكلمتان هنا هما التكوينيتان.

ثم «قدره» القمر «منازل» هنا ﴿لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وفي البقرة: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِئُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢).

فالمواقيت تعم عدد السنين والحساب حيث الحساب هو حساب السنين بالساعات والأيام والأسابيع والشهور.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مصاحباً الحق وبسبب الحق، حق العلم وحق الحكمة التربوية وسائر الحق في الخلق.

وهاتان الآيتان هما من عساكر البراهين القرآنية على أصالة الشهور والسنين القمرية، ولقد فصلنا القول حول الشمس والقمر وأحوالهما في هذا الفرقان على ضوء آياتهما فلا نعيد.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون النظام عن الفوضى، والترتيب القاصد عن الصدفة العمياء، ففي تقدير القمر منازل على ضوء جعل الشمس ضوء بأنه لا يزال يتباعد عنها حتى يوافيها من جانب آخر ارتساماً للأيام فالمشهور فالسنين، إن في ذلك لآيات لقوم يعلمون.

(١) الدر المنثور ٣: ٣٠٠ - أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.